السّبْعُون ... !

هِيَ السَّبْعُونَ ! تَعْتَصِرُ القُلُوبَا ... وَتَصْنَعُ مِن مَحَاسِنِنَا العُيُوبَا !
تُحِيلُ رِيَاضنَا الخَضْرَاء قَفْراً ... وَتَجْعَلُ كُلّ مُخضَل جَدِيبَا
عَبَرْتُ بِهَا عبَاب العُمْرِ قَسْراً ... وَعَانَقتُ الآسَى فِيهَا ضُرُوبَا
وَاسَقَتْنِي كُؤوسَ الشَهْدِ آناً ... وَأَحْيَاناً سَقتنيهَا لَهِيبَا !
فَلاَ أفْرَاحُهَا الوَمَضَاتُ دَامَتْ ... وَلاَ أَحْزَانُهَا عَرَفت نُضُوبَا
تُغِذُّ بِنَا اللَّيَالِي مُسْرِعَاتٍ ... لِنُدْرِك بَعدهَا القَدَرَ الرّهِيبَا !
وَقَالُوا : طَابَ عَيْشُكَ بَعْدَ عُمرٍ ... قَطَعت بِهِ المَسَالِك وَالدُّرُوبَا
وَمَا كَانَت مَشَارِبنَا لِتَصْفُو ... مِن الأكْدَارَ يَوْماً أوْ تَطِيبَا !
وَحَبْلُ العُمْرِ يقصرُ كُل يَوْمٍ ... وَضَوْءُ الشَّمْسِ يُوشِكُ أنْ يَغِيبَا
وَدُنْيَا لَمْ تَكُنْ مُذ عَاشَ فِيهَا ... أبُونَا آدَم إلاَّ لعُوبَا !

وَكُنْتُ أخَافُ هَذَا الشيْبَ حَتَّى ... أنِسْتُ بِهِ فَأحْبَبْتُ المَشِيبَا
يُذكرنِي زُهُورَ الرّوْضِ بِيضَا ... نَدِيَّاتٍ وَمَوْسِمَهَا الحَبِيبَا !
وَكُنْتُ أسِيرُ مُنْتَصِباً سَوِياً ... وَلاَ أشْكُو فُتُوراً أوْ لغُوبَا
شَكَوْتُ إلَى طَبِيبِي ضَعْفَ قَلْبِي ... وَنَبضا لَمْ يَعُد نَبضاً رَتِيبَا
فَأوْصَانِي بِمَا لُقْمَانُ أوْصَى ... وَحَدَّد لِي السَوَائِل وَالحُبُوبَا
وَعُدْتُ إلَيْهِ أشْكُو مِنْ دَوَاء ... أرَاهُ لَمْ يَكُن فِيهِ مُصِيبَا
فَقَالُوا : مَاتَ مِن نبضَاتِ قَلْبٍ ... وَضَغطِ دَم بِجَلْطَتِهِ أصِيبَا !
تَرَكْتُ القَلْبَ لِلأقْدَارِ تَجْرِي ... بِمَرْكَبِهِ وَوَاجَهْت الخُطُوبَا
فَمَا حِرْصِي عَلَى عُمْرِي بِمُجْدٍ ... إذَا مَا المَوْت كَانَ هُوَ الطبِيبَا !

هِيَ السَّبْعُـونَ ! مَـرَّتْ حُبلَيَـاتٍ بِكُل عَجِيبَـة وَلَـدَت عَجِيبَـا !
رَأتْ عَيْنَـايَ فِيهَـا كُـل بِـدَعٍ وَذقت الصَفْـوَ فِيهَـا وَالمَشُـوبَا
وَلَنْ آسَـى عَلَى مَـامَـرَّ مِنْهَـا فَإنْ لَهَـا بِأعْمَـاقِي نُـدُوبَـا !
وَلَكِنِي ذَكَـرْتُ صِبَـايَ فِيهَـا وَإخْـوَانَـا كَـرِيًّا الـزَّهْـرِ طِيبَا
صِبـاً كَـانَتْ رِيَـاضـاً مِنْ جِنَـانٍ شَـدَوْتُ بِهَـا طَلِيقـاً عَنْـدَلِيبَـا
غَفَت عَيْنُ الـزَّمَـانِ فَلَمْ تَـرُعَنَـا بِمَكْـرُوه، وَلَـمْ تُـوقِظِ رَقِيبَـا !
طَـويت بِهَـا صَحَـائِف مِن كِتَـاب سَتَتْلُـوهَـا بَقَـايَـاهُ قَـرِيبَـا
وَنُحَتْ عَلَـى رِفَـاق ودَّعُـونِي وَقُمْتُ عَلَى مَقَـابِـرِهِـم خَطِيبَـا
وَلَـمْ أكُ رَاثِيـاً إلاَّ لِنَفْسِـي وَلَمْ أك فِـي مَـرَاثِيهِـم كَـذُوبَـا
مَضَـوا قَبْلِي فَأوْحَشَـت المَغَـانِي وَأصْبَحَ رَوْضُهَـا الـزَّاهِي كَئِيبَـا
وَأخْـرَسَتِ المَنِيَّـة كُل شَـاد بِـهِ قَـدْ كَـانَ صـدَّاحـاً طَـرُوبـاً !!
وَمَـا تَصْفـر فِينَـا الشَمْسُ إلاَّ لِتُـؤذِنِ أنّ لِلـدُّنْيَـا غُـروبَـا !!

هِيَ السَّبْعُـونَ ! قَـاطِـرَةٌ مَشَت بِي إلَى المَجْهُـول تَخْتَـرِقُ الغُيُـوبَـا
وَمِن حَـوْلِي ذِئَاب فِـي ثِيَـاب وَغِيـلاَن تَعـوَدت الـوُثُـوبَـا !
وَمـن يَـرْكن إلَـى قِيَمٍ وَخلـقٍ يَعِش فِي عَـالَم الغَـوْغَـا غَـرِيبَـا
وَمـا بَيْنَ التمـزّق فِي حَيَـاة وَبَيْنَك غَيْـرَ أنْ تَحْيَـا أدِيبَـا !!
تَحِسُّ وَحَـوْلَـكَ الـدُّنْيَـا جمَـاد وَيصهـرك الأسَى حَتّى تَـذُوبَـا !!

تطوان 1992/11/27